

خطبه الجمعة - الخطبة ٠٠٢٠ : حقيقة الإنسان .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٧٥-٠١-١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله الذي سبحت الكائنات بحمده ، وعنت الوجوه لعظمته ومجده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه واعتزته الطيبين الطاهرين .

خوف وحرص هذه طبيعة الإنسان :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه :

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِنَّا الْمُضِلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِنَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ)

[سورة المعارج]

أيها الأخوة المؤمنون ؛ تنطوي هذه الآية الكريمة على حقيقة نفسية خطيرة ، نعيشها كل يوم ونخبرها في كل مناسبة ، وهي :

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا)

الإنسان شديد الجزع ، إذا أصابته مصيبة ، أو نزلت قريبا من داره شديد الحرص على ما في يديه، إنه يحرص على مستوى معيشة ، ويخشى أن ينخفض ، ويحرص على تجارته ، ويخشى أن تبور ، ويحرص على صناعته ، ويخشى أن تكسد ، ويحرص على محصوله الزراعي ، ويخشى أن تصيبه آفة ، ويحرص على وظيفته ، ويخشى أن يفقدها ويحرص على تعويضاته ، ويخشى أن تنقطع ، أو تقل ، ويحرص على صحته ، ويخشى أن تتدهور ، ويحرص على حياته ، ويخشى أن تنتقصي ويحرص على ثروته من بعد وفاته ويخشى أن ينالها الغرباء .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ ليس في ذلك غرابة .

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا)

وإذا سمع أحد الناس ، أن في قلبه تضخماً ، أو في دمه جلطة ، أو في كليته التهاباً أو في كبده تشمعا ، أو في أمعائه تورماً ، أو في أعصابه تلفاً تراه يصفر وجهه ، ويمتقع لونه ولا تقوى ركبته على حمله ، وليس في ذلك غرابة ، لأن :

(الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً)

وإذا سمع أحد من الناس ، أن أسعار هذه السلعة سترتفع ، وأن أسعار الوقود ستزيد وأن هذه البضاعة ، سيتم استيرادها ، نراه يحس بالانقباض والكآبة ، ويعلن عن تشاؤمه وتبرمه ، وليس في ذلك غرابة لأن :

(الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً)

وإذا لاح للإنسان شبح مصيبة ، أو نازلة ، أو وباء ، أو مرض عضال ترى وجومه بادياً ، وقلقه ظاهراً ، ولسانه متلعثماً ، وليس في ذلك غرابة لأن الإنسان خلق هلوعاً ، إذا مسه الشر جزوعاً .. ولكن لنقرأ تنمة الآية الكريمة :

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِنَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِنَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ)

[سورة المعارج]

إذا طبيعة الإنسان أن يخاف من كل شر ، ويحرص على كل خير .

سكينة النفس لا يعرفها سوى المصلين :

ولكن المصلين مستثنون من هذه القاعدة إنهم اتصلوا بالله عز وجل فوجدوه غنياً فغنيت نفوسهم ، واستغنت به عن سواه ، إنهم اتصلوا بالله عز وجل فوجدوه رحيماً ، أرحم بأنفسهم من أنفسهم ، فاستسلموا لمشيئته وصبروا لحكمه ، إنهم اتصلوا بالله عز وجل فوجدوه عليماً .

(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)

[سورة غافر الآية : ١٩]

فاستراحوا من إعلان الشكوى ، والصياح ، والضجيج ، والتظاهر ، إنهم اتصلوا بالله عز وجل فوجدوه قوياً قادراً فم ترهبهم قوة عدوهم ، ولا شدة بأسه ، وأمنوا بأنه ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم ، إنهم اتصلوا به عز وجل فوجدوه عادلاً لا يضيع مثقال نرة ، فأمنوا من جور الزمان ، وتقلبات الأيام وغدر الدهر ، وسخرية القدر ، كما يقول الجهلة من الناس ، إنهم اتصلوا به عز وجل ، فوجدوا الاتصال به مُسعداً أيما سعادة ، فلم تستخفهم شهوات الدنيا ولذائنها ، ولم تستهوههم زخارفها وزينتها ، إنهم آمنوا بأنه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وقال عليه الصلاة والسلام :

عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

**((عَجِبْتُ لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ لَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ
شَكَرَ وَكَانَ خَيْرًا وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ وَكَانَ خَيْرًا))**

[أخرجه الإمام أحمد]

يقول عالم النفس ليبمان :

(سكينة النفس هي الهبة التي يدخرها الله لأصفيائه ، إنه يعطي الكثيرين الذكاء ، والصحة والمال ،
والشهرة ، أما سكينة النفس فإنه يمنحها بقدر لأصفيائه المؤمنين)
ويقول أيضاً :

(إن سكينة النفس هي الغاية المثلى للحياة الرشيدة ، وأنها تزدهر بغير عون من المال ، بل بغير
مدد من الصحة ، وفي طاقة السكينة ، أن تحول الكوخ إلى قصر ، أما الجزع والقلق فإنه يحيل
القصر إلى سجن)

أيها الأخوة المؤمنون ؛ إن سكينة النفس لا يعرفها إلا المصلون ، الذين هم على صلاتهم دائمون
أما غير المصلين فهم قلقون مكتئبون ، متشائمون يتلف هذا القلق والتشاؤم ، يتلف ما آتاهم الله من
صحة ، ومال ، وليس في ذلك غرابة .

**(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِنَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ
هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ)**

الحكمة لما خلق الإنسان هلوعاً :

ولكن لِمَ خلقنا هكذا ، وما الحكمة من تلك الخصلة التي أودعها الله في كل إنسان وهي الجزع عند
الشدة ، والحرص في الرخاء ؟

الحقيقة أن سعادة الإنسان في الاتصال بربه ، وهذه الخصلة تعينه على تلك الصلة كلما أصابه هم
أو حزن ، وبهذه الخصلة ننيب إلى ربنا كلما ألمت بنا مصيبة ، أو نازلة ونتضرع إليه كلما أحسنا
بالخطر يقترب منا ونلجأ إليه كلما هددنا عدو لنا ، ونستعين به على كل ما يقلقنا ونرجوه في كل ما
لا نقوى على صرفه عنا وعن أهلنا وأولادنا .

وبعد أن نلتجئ إليه وننيب ونستعين به ، ونرجوه ونفزع إليه ونلوذ به بيدل خوفنا أمناً ، وقلقنا
استقراراً ، وضيقنا فرجاً ، وهمنا رضى ومصيبتنا أجراً وذخراً .

وهذه هي حقيقة الصلاة وجوهرها ، نتائجها وأثارها .

**(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِنَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ
هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ)**

[سورة المعارج]

أيها الأخوة ؛ هذه الحقائق عن المصلين ترجمت إلى وقائع سطرها التاريخ ، فهذا سيدنا خبيب بن عدي يقوده كفار قريش إلى الموت ، ويستأذنه في أن يصلي ركعتين ، وتدفتت في روحه حلوة الإيمان ، فودّ لو ظل يصلي ويصلي ، ولكنه التفت إلى قاتليه وقال لهم : والله لولا أن تحسبوا أن بي جزءاً من الموت لازددت صلاةً .

سيدنا خبيب لم يجزع وهو يواجه الموت ، وغير المصلين يجزعون إذا شاكلتهم شوكة في أصبعهم. سيدنا جعفر بن أبي طالب ، انقض على الروم في مؤتة ، وكان قائد الجيش وحامل اللواء ، انقض يقتل فيهم يميناً وشمالاً ، ولكن ما لبثت سيوفهم أن قطعت يمينه ، فأخذ اللواء بشماله ، فقطعت شماله ، فاحتضنه بعضديه حتى استشهد ، قال عليه الصلاة والسلام :

((لقد رأيت جعفرًا في الجنة له جناحان مخرجان بالدماء مصبوغ القوادم))

وكانت زوجة سيدنا جعفر (أسماء بنت عميس) حين وصول خبر استشهاد زوجها تنظف أولادها، وتعطرهم ، فاتاهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وقال : " إبتوني ببني جعفر ، فأتون بهم فتشمهم ، وذرفت عيناه ، فقالت زوجته يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك ، أبلغك عن جعفر وأصحابه شيءٌ فقال أصيبوا اليوم " وأمر أن يُصنع لآل جعفر طعاماً ، لأنهم شغلوا بأمر مصابهم .

رضي الله عن سيدنا جعفر ، قطعت يده اليمنى ، فأمسك الراية باليسرى ثم قطعت يده اليسرى ، فأمسك الراية بعضديه ، وما أصابه جزع ولا خوف وصدق الله العظيم :

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِنَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِنَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَاُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ)

[سورة المعارج]

اللهم اجعلنا من المصلين الذين لا يجزعون عند الشر ولا يمنعون عند الخير والحمد لله رب العالمين .

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا غيرنا ، وسيخطى غيرنا إلينا ، فلنخذ حذرنا الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ولا يعزُّ من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تُهنا ، وأثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا ، أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردُّنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمَّن سواك . اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمناً في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً ، وسائر بلاد المسلمين ، اللهم لا تؤمنا مكرك ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تنسنا ذكرك ، اللهم يا أكرم الأكرمين أعطنا سؤلنا ، واغفر لنا ذنوبنا وارحمنا إنك أرحم الراحمين . اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الخوف إلا منك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء مولانا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعلي كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعزَّ المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى إنه على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين